دلالات الزمن المتواترة في الأمثال الشعبية لدى كبار السن

مدينة وادي سوف أنموذجا

Indications of Recurrent Time in the Elderly's Popular Proverbs

Oued Souf as a Model

خديجة لبيهي

جامعة الوادي lebbihi-khadidja@univ-eloued.dz

تاريخ الاستقبال: 2023/01/27؛ **تاريخ القبول**: 2023/09/24؛ **تاريخ النشر**: 2024/02/04

ملخص: تأتي هذه الدراسة كمحاولة لربط الماضي بالحاضر من خلال الوقوف عند محتوى تمثلات كبار السن لبعض المواضيع الاجتماعية التي اندست في الأمثال الشعبية، وكان الزمن هو العامل المشترك بين كل تلك المواضيع، تلك التمثلات التي تفاعلت في المدينة فمارست عليها هاته الأخيرة سلطتها فأجبرتها في كثير من الأحيان على التكيف مع وضعها حتى تضمن لها البقاء والفعالية.

اجتهد المثل الشعبي في التكيف مع متغيرات المدينة، ولكنه تمرد أحيانا وحاول اختراق القانون الزمكاني، فما كان من المدينة إلا أن تسلّم بهذا التمرد وتعطيه نوعا من الشرعية، وهذا يدل على عمق الدلالة والتجربة المثلية التي مهما مر عليها الوقت تجد وسطا للتكيف والانتعاش، بل وتكون كفاعل في رسم خطوط التغير في المدينة على المستوى القيمي والحضاري

الكلمات المفتاح : المثل الشعبي ؛ المدينة ؛ الزمن ؛ كبار السن ؛ الدلالة.

Abstract: This study is as an attempt to link the past with the present throughexamining the content of the representations of the elderly for some social topics that were inserted in the popular proverbs, wherein, time was the common factor between all those topics.Those representations that interacted in the city and the latter exercised its authority and forced it in many cases to adapt to its changes in order to ensure its survival and effectiveness. The popular proverb has worked hard to adapt to the city's variables at times, but it rebelled against it at other times and tried to break So, the city's response was to give this rebellion a kind of .through the spatio-temporal law legitimacy, which was manifested in the practices of the elderly and their life experiences that remained constant despite the changes that occurred in the city in terms of urbanism and value. This indicates the depth of the experience of the proverb that no matter how much time passes, it finds a medium for adaptation and recovery, and even as an actor in drawing the lines of change in the city at the level of values and civilization.

Keywords: time, popular proverb, the elderly, City

I- مقدمة:

الأمثال الشعبية في أي مجتمع مرآة عاكسة لثقافته، تتغلغل في البناء الاجتماعي والثقافي للجماعة فتشكل لازمة في الأحاديث اليومية لا يمكن الاستغناء عنها، لتكون وسيلة للتعبير ودليلا على صحة القول.

و المثل الشعبي أحد أهم أشكال التعبير الثقافية التي تؤرخ للتجربة الإنسانية، ويلعب الزمن دورا مهما في تمرير تلك التجارب، فهو بمثابة محطة سوسيوزمنية تتباين دلالتها الاجتماعية من فئة عمرية إلى أخرى، لذلك اتسمت دلالة الزمن عند كبار السن بطابع القداسة والاهتمام لأنهم خبروا الزمن واستهلكوا جزءا كبيرا منه وعايشوا فيه تجارب كثيرة تحاكي مختلف المواقف التي مروا بها والدروس التي استفادوا منها في تجاربهم الحياتية، فلخص المثل الشعبي تلك التجربة بعمقيها الاجتماعي والزماني، فكانت تجربة مميزة يمكن استثمارها والاستفادة منها.

يمثل المثل الشعبي لكبار السن تجربة مخبوءة في ذاكرتهم يستأنسون بها كلما دعت الحاجة لذلك، فالمثل الشعبي في كثير من الأحيان يعتبر أمارة نجاحهم وإخفاقهم وخير كاشف لمزايا زمنهم الجميل الذي عاشوا فيه ويتمنون أن يبقى عبقه مستمرا إلى اليوم في طريقة العيش وطريقة الكلام والقيم التي تربوا عليها.

تشعر أنه للحظة وهم يستحضرون الأمثال الشعبية ليثبتوا صدق كلامهم، أن الزمن توقف أو أن هذه هي الأمنية التي تطاردهم فيتحسرون على التغير الذي طال كل شيء، فتلمس معاناتهم وصعوبة التأقلم مع تغيرات المدينة التي تريد أن تحتل ذاكرتهم أيضا لتغير كل شيء فيهم وتجرفهم مع تيار التغيير حتى لا يمثلون انحرافا عن القاعدة.

الدلالة الزمنية في المثل الشعبي وُفقت الذاكرة الشعبية في التعبير عنها وتوثيقها، فقد اكتظ المثل الشعبي بكل الألفاظ الدالة على الزمن من قبيل (اليوم، غدوة، وأسماء لبعض أشهر السنة وفصولها). فما هي هذه الدلالات الزمنية في المثل الشعبي؟ وكيف تجلت دورته الحضارية عند كبار السن؟ وكيف عبروا عن تلك التجارب والخبرات المتراكمة على مستوى القناعة والتطبيق العملي؟

كل تلك التساؤلات ستكون مدارا للدراسة في هاته الورقة البحثية

أولا– أهداف الدراسة:

- كشف الدلالات السوسيوزمنية المخبأة في المثل الشعبي.
- التعرف على جدلية العلاقة بين تجربة المثل الشعبي وخبرة كبار السن.
- الوقوف عند تفاعلات كبار السن مع تغيرات المدينة.

ثانيا– مفاهيم الدراسة:

1– مفهوم الدلالة الزمنية

تعني كلمة دلالة لغويا العلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى. (مختار عمر، 1998، ص11)

وما يهمنا في هذا البحث هو الوقوف على معاني الأمثال الشعبية ودلالتها السوسيوزمنية.

2- كبار السن

يجب أن نشير في البداية أنه من الصعب تحديد مفهوم كبار السن لأنه مفهوم عائم يتحدد بناء على النسق المكاني والزماني والاجتماعي.

وحسب ما ذهب إليه الزبيدي : " فان كل فرد ينظر من زاويته الخاصة وتجربته وخبرته وثقافة مجتمعه، فهل هو من طغى البياض على رأسه أم من ضعفت بعض قدراته الحسية كالسمع والبصر..واختصار لكثير من التساؤلات يفترض البعض أن الكبير هو من تجاوز نصف العمر". (الزبيدي، 2009، ص23)

وحسب ما ورد في معجم علم الاجتماع فقد عرفت مرحلة كبر السن :" عملية بيولوجية حتمية تمثل ظاهرة من ظواهر التطور أو النمو التي يمر بها الإنسان، وهي مجموعة من التغيرات التي تؤدي إلى تلف التركيب العضوي" (ميتشيل، ص15).

3- المدينة

تعريف أرسطو:" أن المدينة مجموعة من الذكريات الصخرية من الممكن إدراك معانيها ومكوناتها".

تعريف ابن خلدون: " فيرى أن المدن والأمصار ذات هياكل وأجرام عظيمة وبناء كبير، وهي موضوعة للعموم لا للخصوص فتحتاج إلى اجتماع الأيادي وكثرة التعاون.." (خلف الله، 2005)

وعادة ما يرتبط مفهوم المدينة بلفظ التحضر والذي يعد من خلاله يتم تشكل المدينة بكل مكوناتها وأنساقها الاجتماعية. وحسب تعريف جيرالد بريز فان التحضر هو :" عملية تغير كمي وكيفي معا تؤدي إلى تحولات كبيرة في خصائص المجتمعات المحلية وسماتها ووظائفها". (راشد علي،2013، ص 452)

4-المثل الشعبي:

عرّف العالم فريدريك زايلز المثل الشعبي في كتابه-دراسة للمثل الشعبي الألماني- بقوله:" المثل قول جارٍ في اللغة الشعبية منغلق على نفسه، له توجه نحو التعليمية وله صياغة راقية". (بورايو، 2006، ص62)

يكشف التعريف السابق عدة خصائص تميز بها المثل الشعبي دون غيره من أنواع الفنون الشعبية الأخرى، فعبارة "**منغلق على نفسه**" قد توحي أن للمثل إطار اجتماعي وحضاري وثقافي خاص به يجعل المثل يحظى باهتمام اجتماعي على اعتبار أنه جزء من الخصوصية الثقافية للمجتمع. كما أشار زايلز أن للمثل توجه تعليمي، فهو يؤدي دورا تربويا عن طريق نقل خبرات وتجارب الآخرين التي يمكن أن يستفاد منها، وتمثل مرجعا وموجها تربويا مفيدا لأفراد المجتمع. كما لفت العالم فريدريك الانتباه إلى ما سماه بالصياغة الراقية للمثل الشعبي، وهذه العبارة يجب الوقوف عندها طويلا؛ ففي بعض المجتمعات مازالت إلى غاية يومنا هذا تنظر إلى التراث الشعبي على أنه رمز للتخلف والرجعية وأنه محكوم بمنطق العشوائية وعدم التنظيم، أما أن يكون رمزا للرقي سواء في صياغته اللفظية أو في مدلوله الاجتماعي، فهذا شيء جدير بالاهتمام ومميز يجب أن نحتفي به ونعززه.

ثالثا- المثل الشعبي الأهمية التربوية والدلالة الرمزية

يشكل المثل الشعبي مادة تربوية مهمة في النسق الثقافي للمجتمع، فهو مرجع نحتكم إليه عند تقييمنا لبعض المواقف والسلوكات، فالقيمة التربوية التي يحتوي عليها المثل لا يمكننا الاستغناء عنها، فاستثمار التجربة المثلية في عملية التربية هو ما يجب أن يكون.

يتحدث الدكتور أحمد المكي عن الأهمية التربوية للمثل الشعبي في قوله: "والمثل الشعبي يختص غالبا بوصف الصورة التي يتعامل بها الإنسان مع البيئة المحيطة به كما يراها المجتمع ويتقبلها، ولذلك فالمثل الشعبي من أكثر المأثورات الشعبية أهمية في التربية"، (مكي، 2020)

فتمده بأسس التعامل السليم، على أن الجماعة هي من تحدد مفهوم السلامة، فما يكون سليما في مجتمع ليس بالضرورة أن ينطبق على مجتمع آخر، هذا الشيء جعل للمثل الشعبي أفضلية على باقي أشكال التعبير الشعبي الأخرى وخاصة في الأمور المتعلقة بالتربية.

ذات الرأي يذهب إليه الكاتب إبراهيم شعلان فيقول في ذات الصدد:"إن المثل الشعبي هو أسلوب تعليمي ذائع بالطريقة التقليدية، يوصف في غالب الأحيان بعمل يصدر حكما على وضع من الأوضاع، وكذلك أسلوبا تربويا تعليميا يرسم طريق العمل، كما يقوم بدور الناقد لوضع من الأوضاع"، (شعلان، ب ت، ص49)

الكاتب هنا في استعراضه لتعريف المثل الشعبي أكد على دوره التعليمي والتربوي، وأعطاه أهمية كبرى وقيمة تربوية ترتقي به لتجعله يلعب دور الناقد.

وتزداد الأهمية التربوية للأمثال الشعبية خاصة في المجتمعات العربية التي تحتكم إلى إطار مرجعي وقواعد أخلاقية تحتاج في كل مرة إلى من يدعم تلك الضوابط ويؤسس لها. ولعل المثل الشعبي بمضمونه القيمي يساهم في ذلك.

بما أن المثل الشعبي أحد أهم مكونات النسق الثقافي الشعبي، فإن دوره يتجاوز الدور التربوي فهو يضطلع بعديد الأدوار التي تسهم في الثبات القيمي للمجتمع، حاله في ذلك حال الثقافة فهذه الأخيرة مطالبة دائما بأداء دورها. تقول الدكتورة نبيلة إبراهيم أن: "المثل الشعبي من أكثر الأقوال الشعبية جريانا على ألسنة الناس" (ذياب، 1998، 176)؛ الاستعمال اليومي للمثل الشعبي في لغة الجماعة يدل على الأهمية الاجتماعية التي يتمتع بها المثل الشعبي، فالجماعة لا تعيد ترديد إلا الشيء الذي يمثل لها أهمية وقيمة تحتاج إلى تأكيد تلك القيمة كلما اقتضت الضرورة مما يفسح المجال لتكرار المثل أكثر من مرة.

وحتى يؤدي المثل الشعبي دوره التربوي ويمارس التأثير المطلوب منه يحتاج إلى الاستعانة والاستئناس ببعض العبارات الرمزية؛ فأحيانا لا يؤدي اللفظ غرضه إذا قيل كما هو بل يحتاج إلى ما يعبر عنه، وهو توجه دعت إليه الضرورة اللغوية وربما الضرورة الاجتماعية، فالتعبير عن طريق الرمز أشد تأثيرا في نفوس السامعين وربما يكون أقرب إلى أن تتقبله العامة وتقتنع به، لأنه احترام الشفرات اللغوية المتعارف عليها في الجماعة ولم يتجاوزها.

يرى لزي هوايت: " أن كل ألوان السلوك الإنساني تنبع من استعمال الرموز، فالرمز هو الذي استطاع أن يحول أجدادنا إلى أشخاص متفاعلين. فعن طريق الرموز نبعت جميع الحضارات وجميع أنواع السلوك الإنساني تتكون من الرموز وتعتمد على استخدامها، فالسلوك

الإنساني سلوك رمزي والسلوك الرمزي سلوك إنساني" (ذياب، 1998، 177)، وبما أن الأمثال الشعبية يكون موضوعها غالبا السلوك الإنساني فهي تكون أشد حاجة إلى استعمال الرمز.

وقد يستعان بالرمز لتجنب النقد المباشر فتكون الإشارة إلى الموقف الاجتماعي من خلال التلميح بدل التصريح الذي قد لا يؤدي الغرض في أغلب الأحيان، استعمال الرمز في المثل الشعبي هو تفهم لثقافة المجتمع واحتواء لها بتجنب كلما يخدش أعراف الجماعة وطقوسها الثقافية

رابعا– الإجراءات المنهجية للدراسة

1–المجال المكاني:

تمت الدراسة في مدينة واد سوف، وهي ولاية جزائرية انبثقت عن التقسيم الاداري لعام 1984، تقع في شمال شرق الصحراء الجزائرية، يحدها من الشرق الجمهورية التونسية، ومن الغرب والجنوب كل من ولايات المغير وتقرت وورقلة، ومن الشمال ولايات تبسة وخنشلة وبسكرة، وما يميز مدينة وادي سوف أنها منطقة حدودية الأمر الذي أسهم في ثراء تراثها الثقافي.

2–مادة الدراسة (متن البحث)

اعتمدت الباحثة على كتاب الموسوعة السوفية للامثال والحكم الشعبية للكاتب بن علي مُحَمَّد الصالح الذي ألف سنة 2012، وقد اختارت الباحثة مجموعة من الأمثال الشعبية من تلك الموسوعة حسب مقتضيات الدراسة.

3–منهج الدراسة:

تماشيا مع طبيعة الموضوع تم اختيار منهج تحليل الخطاب؛ وقد تم اعتماد منهج تحليل الخطاب في هاته الدراسة على اعتبار أن المثل الشعبي يعد مادة خطابية.

ويعتبر أسلوب تحليل الخطاب منهجا كيفيا، وهو وسيلة لمعالجة المدونات وتأويلها بهدف الوصول إلى حقائق اجتماعية. وقد يتداخل مع منهج تحليل المضمون إلا أن ما يميز تحليل الخطاب هو التركيز على تفكيك البنى اللغوية وإظهار مختلف التمثلات والدلالات الاجتماعية.

وحسب ما ذهب إليه جيرار جينيت في كتابه خطاب الحكي بأنه: " دراسة مجموعة من الأحداث منظورا إليها في ذاتها"، (عزام، 2003، ص50)

والمقصود هنا بالمنظور إليها في ذاتها أي قراءتها في إطار اللغة التي كتبت بها؛ أي قراءة باللغة التي جاءت بها " وصف اللغة بواسطة اللغة وهو ما يسمى بوظيفة ما وراء اللغة". (لوشن، ب ت، ص73).

واعتمدت الباحثة على الأدوات التالية في تحليل الخطاب:

تحليل الأطروحات: وتمثل أهم الأفكار والمواضيع التي حوتها الأمثال الشعبية .

تحليل المعنى الكامن: أي المعنى الضمني والذي يساهم في تشكيل مدركات الجماعة. (دليو، 2019، ص33).

و المعنى الكامن في هذه الدراسة هو التمثلات الاجتماعية للمثل الشعبي عند كبار السن والدلالة الزمنية للمثل في فضاء المدينة

تحليل القوى الفاعلة: مجموعة من الفاعلين والأطراف المؤثرة في الخطاب سواء أكان التأثير مؤيدا للخطاب أو معاكسا له، مع رصد خطاباتهم وأفعالهم. (دليو، 2019، ص33)

وفي هذه الدراسة القوى الفاعلة هم كبار السن ممن قابلتهم الباحثة أو تمت ملاحظتهم.

كما استعانت الباحثة بتقنيتي الملاحظة والمقابلة من أجل الوقوف عند بعض الدلالات التي كانت تظهر في حوارات وأحاديث كبار السن التي كانت تقريبا ذاتها باختلاف الأماكن، وقد كانت كل من الحافلة والسوق المحطتان لجمع أكبر عدد من الأحاديث التي كان تثار بين كبار السن، وما صحب ذلك من إيماءات وإشارات يستعين بها هؤلاء لإثبات صحة ما يروون من قصص ومواقف.

خامسا–الدلالات الزمنية في المثل الشعبي وتمثلاتها لدى كبار السن

عبرت الأمثال الشعبية عن مجموعة من المفاهيم عاكسة بذلك التصور الاجتماعي لها، فنجح المثل الشعبي في تقديم الصورة الشعبية المتعارف عليها للكثير من القضايا والمواضيع الاجتماعية التي لازالت تلعب دورا مهما في المدينة من خلال عملية التفاعل والتأثير الذي يمارسه المثل الشعبي على مختلف فئات المجتمع بما في ذلك كبار السن الذين تكتسي رؤاهم طابعا خاصا يلعب الزمن دورا رئيسيا فيه، وفيما يلي رصد لأبرز المواضيع التي عبرت عنها الأمثال الشعبية حيث اشتملت الدراسة على (22 مثلا شعبيا).

1– العمل كقيمة اجتماعية مقدسة عند كبار السن

جدول رقم 01 يوضح الأمثال الشعبية المعبرة عن العمل

الرقم	المثل الشعبي	المدلول الاجتماعي
01	يفنى مال الجدّين وتبقى حرفة ليدين	يحث هذا المثل على ضرورة الاهتمام بالحرفة اليدوية، والتي تعتبر كنزا حقيقيا لا يعادل امتلاك ثروة كبيرة، فالحرفة اليدوية هي المكسب الذي لا تفنى فائدته المادية والاجتماعية
02	النُوَاضْ بكري بالذهب مشري	في هذا المثل نجد دعوة إلى الاستيقاظ باكرا، فالتصور الشعبي يحث على ذلك الأمر ويؤكد أن فوائد الاستيقاظ باكرا لا تقدر بثمن.

03	النوم إِعَلّم بُرْدْ الذراع	يعيب هذا المثل النوم الكثير، ويلفت الانتباه أن الإدمان عليه مجلبة الكسل والخمول.
04	الشغل المليح يبطى	يحث هذا المثل على ضرورة إتقان ودقة العمل، وعدم الاستعجال في انجاز ما يطلب منا
05	اخدم باطل وما تقعدش باطل	التصور الشعبي يحث دائما على العمل إلى درجة أنه يطالب بالعمل حتى من دون مقابل مادي، فالبطالة مفسدة وتتسبب في عديد المشكلات

المصدر: من إعداد الباحثة

احتفت الأمثال الشعبية بالعمل كقيمة اجتماعية لها قدسيتها وأهميتها، وإن كان لفظ "**العمل**" لم يرد في المثل الشعبي إلا أن هناك ألفاظا تعبر عنه وتعتبر من متعلقاته الأساسية؛ من قبيل (حرفة، الشُغْل، اِخْدم) وردت هذه الألفاظ بصيغ متعددة واستعانت بها الذاكرة الشعبية في تقرير مجموعة من الأمثال الشعبية التي تحث على العمل كقيمة اجتماعية وممارسة حضارية.

لعب الزمن دورا مهما في توجيه المثل الشعبي، فربط المال بالفناء ليثبت صحة ما قرره ألا وهو أهمية حرفة اليد، فهي الكفيلة بضمان الكسب الجيد المرتبط بإتقان عمل ما وليس بامتلاك ثروة مادية هائلة، فالحرفة ترفض الفناء لأنها متوارثة من جيل لآخر، مما يضمن استمراريتها مع مرور الزمن. ويعتبر كبار السن الفئة الأكثر محافظة على بعض الحرف اليدوية؛ فالاشتغال بها يشكل لهم متعة حقيقية يشغلون بها وقت فراغهم من جهة، ويشعرهم بقدرتهم على الإنتاج والنفع من جهة أخرى.(أنظر الجدول 01 المثل الشعبي رقم 01).

ثنائية الوقت والعمل مهمة جدا، وهذا ما حرصت الذاكرة الشعبية على إثباته والحث عليه في كل مرة، لذلك نبهت إلى مجموعة من السلوكات كضرورة الاستيقاظ مبكرا (أنظر الجدول 01 المثل الشعبي رقم 02)، تشبيه الاستيقاظ مبكرا بالذهب دلالة على قيمته وأهميته، وفي هذا المثل كان هناك نوع من التلميح لذم الكسل والنوم لساعات متأخرة، وكبار السن يستهجنون هذا التصرف كثيرا وهذا ما تثبته ممارستهم في عائلتهم بشكل يومي.

الاستيقاظ في وقت متأخر هو أحد عيوب المدينة، عكس الحال في القرى والمداشر، فنجد أغلب قاطنيها لا ينامون لساعات متأخرة، وقد تقف وراء ذلك عدة عوامل لعل أهمها ارتباط سكان القرى بالعمل الزراعي الذي يتطلب النهوض مبكرا، والمناطق المفتوحة التي يقطنوها تجعلهم يبذلون جهدا أكبر للحصول على متطلباتهم اليومية، عكس ما هو موجود في المدن فتوفر مختلف المرافق قد يقلل من الحركة والنشاط، إلا أن ذلك الأمر يبقى نسبيا.

يتواصل ذم المثل الشعبي للنوم الكثير، ويذكر عواقبه، وأنه يعلم –برد الذراع– وهي كناية عن الكسل وحب الركون إلى الراحة دائما (أنظر الجدول 01 المثل الشعبي رقم 03)

النهوض باكرا له فوائده الصحية التي تعود بالنفع على الجسم والعقل والنفس، والمراجع لما جاءت به الشريعة السمحة وحثت عليه السنة النبوية المطهرة؛ ومن ذلك قول النبي ﷺ: "اللهم بارك لأمتي في بكورها"؛ وفي ذات الصدد جاءت أقوال كثيرة تحث على الاستيقاظ باكرا، قال علي ﷺ "من الجهل النوم في أول النهار"
قال ابن عباس رضي الله عنهما رأى ابنا له نائما نومة الصّبحة، فقال له :" أتنام في الساعة التي تقسم فيها الأرزاق" . وهنا يتواءم ويلتقي كل من الرأي الشرعي والتفسير الشعبي لمفهوم الاستيقاظ باكرا.

ومفهوم البكور أو وقت –البُكْرة –كما هو متداول في لهجة منطقة وادي سوف؛ هو محطة زمنية مدتها قصيرة وفائدتها كبيرة، وكأنه وقت يتضاعف فيه الزمن ويخرج عن القواعد الوقتية ويتجسد فيه مفهوم البركة، ذلك المفهوم الذي تصعب ملاحظة في الواقع أو قياسه و لكنك تلمس أثره في الرزق والعمر، البركة معنى نحاول أن نبحث عنه ونكون في أشد السعادة كلما رأيناه متجسدا أمامنا، وهذا ما رأيته في الحاجة مسعودة وهي في السوق وبخبرتها الطويلة وبمجرد لمس المنتوج تعرف جودته تشتري الأفضل والأجود، فلمسات الكبار لها بركتها التي نستمد منها معاني الفرح، وجه الحاجة البشوش يجعل كل من السوق يتمنى أن تشتري من عنده لعله يحظى ببركة دعائها التي لا تتوقف عنها عند كل محل تدخله ولسان حالها يقول: " رب يبارك فيك يا وليدي، رب يبعد عن الظُّلام وأولاد الحرام، ربي يزيدك من فضله...إلخ"، وسلسلة من الدعوات التي لا تنقطع وتظل الحاجة مسعودة تهمهم بها وترسلها لمن يطلبها ولمن لا يطلبها، فكرم الدعاء عندها لا ينضب وبركته ليس لها حدود.

ولكسب تلك البركة نتحمس أحيانا لنصيحة الكبير خاصة عندها تنطق شفتاه بخبرة الزمن ونحاول الاستئناس بها لعلها تجد طريقها للتطبيق حتى تحقق فائدتها.

وللوقوف على تمثل كبار السن لجدلية الزمن والعمل قامت الباحثة بمجموعة من المقابلات الشخصية أثارت من خلالها مجموعة من القضايا المتعلقة بالعمل، ولمست من خلالها الحسرة التي يعاني منها كبار السن بسبب تلاشي قيمة العمل عند شباب اليوم وسيادة منطق التسرع وعدم الإتقان، واختيار الأعمال السهلة التي لا تكلف جهدا كبيرا وتدر ربحا سريعا.

المدينة توفر كل شيء، ويصبح ما تطلبه في المتناول لذلك يلجأ الشباب إلى الأعمال التي تتماشى مع طبيعة المدينة سواء كانوا أتموا دراستهم الجامعية أو لا، فنسبة كبيرة منهم تفضل العمل على سيارة أجرة، فطرقات مدينة الوادي يغزوها هذا النوع من السيارات، وحتى كبار السن ومن أُحيلوا على التقاعد يستهويهم هذا العمل، وعندما سألناهم عن اختيارهم لهذه المهنة التي تليق بالشباب أكثر توحدت إجاباتهم حول قضية أساسية وهي شعورهم بالملل فتعودهم على العمل قبل التقاعد صعّب عليهم الركون إلى الراحة والسكون، وأيضا لتوفير مدخول مادي إضافي قد يُؤّمن تكاليف العيش في المدينة.

ومما تمت ملاحظته أيضا هو احتفاظ كبار السن ببعض الأعمال اليدوية التي يتقنونها، والإصرار على احترافها حتى لو لم تكن مربحة، الحرفة اليدوية التي ضاعت في اكتظاظ المدينة، فأصبحت الصناعات اليدوية شبه غائبة في المدينة، ولا نكاد نراها إلا على تخوم الطرقات ونحن نغادر المدن، وكأني بها تعلن عن محطتها الأخيرة وتفضل الركون هناك كإشعار للرحيل.

كبار السن بشكل عام يتعلقون بكل ما هو تقليدي ويحتفظون به ويرفضون التخلي عنه واستبداله بما هو عصري، لان تلك الأشياء تحمل روحا وهوية يحبون الاحتفاظ بها مادامت الحياة بهم، فهذا عمي مُحَمَّد بائع الخضر في السوق مازال يحتفظ بزوادته التي يضع فيها القطع النقدية، زوادة – وهي عبارة عن كيس صغير من القماش تتم خياطته وعادة ما يتم استعماله للاحتفاظ بالنقود، وخاصة القطع المعدنية – وتلك الزوادة عمرها بحجم عمر حاملها أبى إلا أن يحتفظ بها لعلها تحفظ له أيام الزمن الجميل وتذكره به كلما حن إليه.

2–العمر وجدلية الصغر والكبر

جدول رقم 02 يمثل الأمثال الشعبية المعبرة عن السن

الرقم	المثل الشعبي	مدلوله الاجتماعي
01	أعطيني همي في صغري لما نكبر ننساه	تقال هذه الأمثال على سبيل المواساة والدعم لمن تقدم في السن، تجمع بين الحنين لمرحلة الصبا، واللوم على الزمن الذي يمر بسرعة ويجعل التقدم في السن ضرورة لا يسلم منها أحد.
02	خدعتني يا الصغر وأنت ماشي، ولزّيتني للكبر وما طقتاشي	
03	في الصغر بكيت، وكبرت ما شفيت	
04	جيب مرا ياكل منها الزمان ويخلي	يحث هذا المثل على ضرورة الزواج بالمرأة الصغيرة في السن نظرا للميزات التي تتمتع بها
05	بنادم قد ما يعيش عمره قصيف	في هذا المثل إشارة إلى قصر العمر ،فمهما عاش الإنسان يظل عمره قصيرا.

المصدر: من إعداد الباحثة

نجحت الأمثال الشعبية في التعبير عن حالة يمر بها كل من تقدم سنه، فكثيرا ما يتمنى أن يرجع به الزمن إلى الوراء، ويعيش مرح الطفولة وشغب الصبا، أمنية تراود كل واحد منا، ومع اليقين في استحالة أن يعود الزمن للوراء، إلا أننا نستمتع بروعة هذا الحلم الذي لن يتوقف إلا بتوقف دورة الحياة وانقضاء العمر.

هذه الفسحة من الأماني التي وفرها المثل الشعبي، يستأنس بها من تقدم في السن من حين إلى آخر، ويجد فيها متنفسا كلما رواده الشوق إلى أيام الشباب، وهذه الميزة لم يتفرد بها المثل الشعبي فقط، بل نجد لها صدى أيضا في الأغاني الشعبية الجزائرية، ومثال ذلك أغنية هاشمي القروابي المشهورة "البارح كان في عمري عشرين". والتي نتغنى بها كلما استبد بنا الشوق الى مرحلة الصبا والصغر.

أجمل ما في مرحلة الطفولة هو تناسي الهموم بسرعة وعدم تركها تحتل مساحة من تفكيرنا، وهذا ما لفتت الانتباه إليه الأمثال الشعبية (أنظر الجدول 02 المثلين 01-03).

وبانتهاء مرحلة الطفولة يبدأ التفكير في المستقبل الذي يستنزف كل طاقتنا، إلى درجة أنه يؤثر على الصحة الجسدية والراحة النفسية، والتفكير في أمور الحياة ضرورة كونية لا يسلم منها أحد بل ملزمون بها، والمدن بضجيجها الذي لا يسكن تمارس ضغطا إضافيا على ساكنها، فهو لا يمارس التفكير فقط بل عليه أن يساير ويتماشى مع التطور السريع الذي يغزو المدن.

وفي ذات السياق أكدت الأمثال الشعبية على ضرورة الارتباط بالمرأة الصغيرة في السن (أنظر المثل 04 الجدول رقم 02)، وحسب العرف الاجتماعي فان الزواج بالصغيرة في السن له عديد المزايا، اختصرها المثل الشعبي في عبارة **يأكل منها الزمان ويخلي**، كما هو معروف فان المرأة بسبب مشاق الحمل ورعاية الأطفال قد يسهم ذلك في تهالك صحتها، لذلك يجب الارتباط بالمرأة الصغيرة التي ممكن أن تتعب ولكنها لا تتقدم في السن كثيرا عكس المرأة التي تتزوج في سن متأخرة. وعادة ما يؤيد كبار السن هذا المنحى في الزواج فهم في العادة لا يتقبلون الزواج من المرأة التي فاتت عمر الزواج حسب ما هو متعارف عليه اجتماعيا.

3-الصحة والتقدم في السن

جدول رقم (03) يوضح الأمثال الشعبية المعبرة عن التقدم في السن

الرقم	المثل الشعبي	المدلول الاجتماعي
01	اللّي راحت صحته راحت أيامه	الصحة الجسدية والعقيلة والنفسية هي أساس العطاء، ومن فقدها فمن الطبيعي أن يقل نشاطه وحركته
02	سخانة ليلة إتنح صُحة أربعين يوم	المقصود بلفظ سخانة في هذا المثل هو مرض الحمى، فليلة واحدة مع هذا المرض تسبب ضعفا جسديا كبيرا.
03	دواء الكبر القبر	من تقدم في السن يحتاج إلى اهتمام ورعاية لقضاء حاجاته، التصور الشعبي ربما كان قاسيا أو موضوعيا فأكد على الحل للكبر. هو القبر.

المصدر: من إعداد الباحثة

هاجس التقدم في السن يقض مضجع الرجل والمرأة على حد سواء، فعامل الصحة يتضاءل كلما بلغ الإنسان من الكبر عتيا، وهذا ما أشارت إليه الأمثال السابقة (أنظر الجدول رقم 03)، فقلة النشاط والحركة بسبب المشاكل الصحية أكثر ما يزعج المسن.

من المواقف التي وقفت عندها تلك المرأة المسنة التي لمحتها وأنا أسير في الشارع، و التي تتخذ من عتبة بيتها مجلسا لترى المارة، فقدماها لا تحملانها إلى أبعد من ذلك المكان، تشعر بالضيق فتحاول الترويح عن نفسها برؤية الشارع والحياة التي تدب فيه، ولسان حالها يقول ألا ليت الشباب يعود يوما...قد يرى البعض أن هذا المنظر قد يشوه الوجه الحضاري للمدينة، ولكنه في نظري موقف يخرج من قوانين المدينة المزعجة أحيانا التي يصعب عليها فهم مثل هؤلاء وحالة الضجر التي يعيشونها.

ومما تم ملاحظته وجود فئة من كبار السن ترفض أن يعتريها التغيير فتغير من شكلها لعلها تخبئ بعض تجاعيد الزمن وأمارات الكبر، وهذه الفئة عادة ما تقابل باستهجان اجتماعي ضمني لأنها تمارس نوعا من التمويه وتخالف ما تعارفت عليه الجماعة، فالتصور الاجتماعي الشعبي يجل علامات الكبر ويحترم كل من لا يحاول طمسها وإخفاءها، ويظهر ذلك من خلال تزكيتها ببعض المقولات الشعبية من قبيل: " **الشيبة هيبة**" وغيرها من المقولات التي تقدس علامات الكبر، وذلك توجه شرعي بالدرجة الأولى كما دل قوله ﷺ فيما رواه الصحابي الجليل أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه : **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ : إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ)**.

ويبقى لكبير السن هيبته واحترامه مهما تقدم به العمر، فهذه الفئة تلقى تعاطفا من مختلف فئات المجتمع، وقلما نجد تهميشا أو تقليلا من مكانتهم الاجتماعية، وكأن المجتمع بمختلف فئاته قد فقه الدور الحقيقي المنوط به تجاه هاته الفئة.

4-الصبر القيمة المفقودة في ضوضاء المدن

جدول رقم (04) يوضح الأمثال الشعبية المعبرة عن الصبر وثمراته

الرقم	المثل الشعبي	مدلوله الاجتماعي
01	أصبر يا صابر تنال الخير.	يحث المثلان على قيمة الصبر، مع بيان أثرها الطيب على الفرد، فصاحب هذه الفضيلة ينال الخير ويرزق من حيث لا يحتسب
02	أصبر على رزقك إجيك.	
03	الخير إدوم وإذا دام إعَمِّر، والشر ما إدوم وإذا دام إدَمِّر	معركة الخير والشر أزلية، والخير مفتاح لإعمار الأرض، هذا ما حاول المثل الشعبي التأكيد عليه

المصدر: من إعداد الباحثة

من بين القيم والفضائل التي حث عليها المثل الشعبي قيمة الصبر، هاته الفضيلة التي بدأت تتضاءل في عصر السرعة الذي نعيشه، فضجيج المدينة أفقدنا الصبر، وصار الصبر مطلبا نحاول أن نلّزم به أنفسنا، ونطالب به الغير.

عندما طلبت من الشيخ أن يحدثني عن الصبر ضحك، واختصرت ضحكته تلك كل الكلام، كانت ضحكته رسالة قوية ومشفرة حاولت فك طلاسمها وواصلت الحوار، الصبر ماعادش يا بنتي، حتى أبناؤنا صاروا لا يجدون الوقت للجلوس معنا، الكل مشغول أو منزو لوحده يستأنس بأحدث ما توصلت إليه تكنولوجيا الاتصالات، ولعل ذلك أحد مخرجات المدينة، " فالسلوك في المدينة سلوك يتحدد بناء على مخرجات الصراع القيمي" (حاتم، 2013، ص457)

" ليس هناك وقت، معادش بكري، راني مزروب.." هذه العبارات وما شابهها نكاد نسمعها كل يوم الكل ليس لديه وقت والكل مشغول، وفي المقابل تكتظ المقاهي بمرتاديها وهذه إحدى مفارقات المدينة.

الصبر لا يأتي إلا بالخير، هذا ما حثت عليه جل الأمثال الشعبية، ويحاول كبار السن مستودع الخبرة في كل أسرة أن يلقنوا قيمة الصبر للأبناء عن طريق القول والفعل، لعلهم ينجحون فيما عجزت المدينة عن تلقينهم إياه

5-طلب العلم عند كبار السن

جدول رقم (05) يوضح الأمثال الشعبية المعبرة عن طلب العلم

الرقم	المثل الشعبي	مدلوله الاجتماعي
01	العلم ممدود ما هو محدود	طلب العلم لا يحده زمن ولا مكان
02	بعد ما شاب علقوله كتاب	هذا المثل يخالف مضمون المثل السابق ويربط طلب العلم بمرحلة الصغر، ويحمل بين طياته سخرية من كبار السن الذين يطلبون العلم وقد تمكن منهم الشيب.

المصدر: من إعداد الباحثة

اتسمت معالجة المثل الشعبي لقضية تعلم كبار السن بشيء من التناقض، وهذا ما كشف عنه المثلين في الجدول أعلاه، فنجد في المثل الأول حثا على طلب العلم وعدم ربطه بأي زمان أو مكان، في حين يدعو المثل الثاني بطريقة ضمنية إلى عدم طلب العلم خاصة في مرحلة الكبر وينظر إلى هذا الأمر بنوع من الاستهجان. وان كان لذلك الاستهجان ما يبرره خاصة من الناحية المنطقية والعملية فالتعلم في الصغر له بالغ الأثر في شخصية الطفل.

حاولت الباحثة الوقوف على تمثل هاته القضية عند كبار السن فتباينت مواقفهم وكان التناقض سيد الموقف كما هو الحال في المثلين الشعبيين السابقين؛ فمنهم من يرى أن طلب العلم ضرورة لا بد منها مهما تقدم به السن، في حين يرفض البعض الآخر ذلك الأمر لاعتقاد راسخ أن طلب العلم مرتبط بمرحلة الصغر. وبالنزول إلى الميدان وجدنا الكثير من كبار السن ممن يزاولون دراستهم الجامعية في جامعة الوادي باختلاف تخصصاتهم، واليقين الراسخ عند هؤلاء أن العلم يتجاوز الزمن فأثره لا ينقطع بانقضاء العمر.

إن انتشار مثل تلك النماذج من شأنه أن يغير النظرة النمطية لطلب العلم عند كبار السن؛ والمدينة هنا تلعب دورا ايجابيا وداعما لتعلم الكبار لأنه يتماشى مع طابعها وتوجهها نحو التحضر.

6-الزمن يؤرخ للخبرة الفلاحية

جدول رقم (06) يوضح الأمثال الشعبية المعبرة عن الخبرة الفلاحية

الرقم	المثل الشعبي	مدلوله الاجتماعي
01	كان خان مارس ما إخون أبرير، وكان خانوا لثنين، الدنيا ما عاد فيها الخير	لسان حال هذا المثل يقول: إذا لم يأت الغيث في مارس، يأتي في أفريل، وإذا لم يأت فيهما فإن الشر طغى على الخير. (علي، 2012، ص27)
02	أكتوبر عشرة نيارة وعشرة تجارة وعشرة خسارة.	أكتوبر الفلاحي فيه عشرة أيام الأولى يضيء فيها التمر، والعشرة الثانية يباع فيها التمر، أما العشرة الثالثة يتغير فيها لون التمر، بحيث لم يعد جذابا حين عرضه بالسوق. (علي، 2012، ص118)
03	في شتمبر اللّي ما إكح ينبر.	في شهر سبتمبر يبدأ دخول فصل الخريف، ويتغير الجو، فمن لم يصاب بالسعال يصاب بالبحة وحرارة الجسم. (علي، 2012، ص36)
04	في إبرير تيبس لو كان عروقها في البير.	إبرير هو الشهر الذي يتوسط الربيع في التقويم الشعبي الفلاحي، ففي هذا الشهر تجف الحشائش وتيبس، ولو كانت جذورها في ماء قاع البئر، وهذا ينطبق على حشائش صحراء وادي سوف وما شابهها. (علي، 2012، ص109)

تعلق الإنسان بالأرض وتفاعله الطويل معها سمح له بإنتاج أقوال شكلت عصارة خبرته خاصة فيما تعلق بأمور زراعة الأرض وفلاحتها، واستعان بعامل الزمن وأشهر السنة لتقرير بعض التغيرات التي تطرأ على النبات، ويربطها بمواسم الزرع والحصاد وكل ما تعلق

بأمور الفلاحة، وهو ذكاء من الفلاح الكبير في السن، والذي يحاول في كل مرة أن يلقن فلاح اليوم الشاب بكل تلك الخبرات التي تعد قاموسا يجده الشاب جاهزا ويستعين به كلما وجد صعوبة في فهم أمور الزراعة والفلاحة.

ويعيش كبار السن حالة من الحميمية والتوحد مع الأرض، فلا يجدون الراحة والدعة إلا فيها، فقد أفنوا عمرهم في تعميرها وقد آتت أكلها، فيشعرون أن الزمن الذي قضوه في خدمتها لم يضع هدرا.

وعادة ما يهرب كبار السن من ضوضاء وضغط المدينة فهم يحتاجون إلى فضاء أوسع وهذا ما تم ملاحظته عند الكثير منهم، فهم لا يتحملون الأماكن المغلقة.

ومن ناحية أخرى العلاقة مع الأرض تُشعر من تقدم في السن بقيمته الاجتماعية و تكسبه نوعا من الرضا عن حياته من خلال اهتمامه والأعمال البسيطة التي يمارسها في مزرعته، والاضافة التي يشعر انه يقدمها

كما أشار فروم أن الرضا عن الحياة وسعادتها ينشأ من الحياة المنتجة، فالعمل يعد مصدرا مهما في رضا الفرد عن حياته، إذ من خلاله يشعر الفرد انه منتج ومفيد بشكل ما لذاته وللآخرين".(فروم، ب ت، ص151)، ولعل كبار السن هم أكثر من يحتاجون إلى تجديد شعور الرضا ذواتهم من حين إلى آخر.

IV- الخلاصة:

كل المواضيع التي ذكرت آنفا لا تعبر فقط عن قضايا شغلت المثل الشعبي وحاول معالجتها بطريقته الخاصة، ولكنها في جانب آخر تعبر عن تلك التجارب التي لا تنضب ولا يجف منبعها والتي مهما تقادمت نحتاج للاستزادة منها وإثراء رصيدنا القيمي والأخلاقي.

تجربة كبار السن سواء تورط فيها العامل الزمني أو تدخلت عوامل أخرى تبقى جديرة بالاهتمام والدراسة، ولا يجب أن ننظر إليها كشيء انتهت مدة صلاحيته، فهي الفئة الهشة التي تحتاج إلى دعم و محاولة وإدماجهم في المجتمع من جديد بطريقة حَذِقة تشعرهم بأهميتهم وقيمتهم.

واحترام الخبرة هو إيمان بدورة الزمن الحضارية التي لا يجب القفز على مراحلها، والوقوف عند تلك الخبرات التي يمكن أن نجد فيها الكثير، فما ننظر إليه نظرة تهميش قد تكمن فيه المعرفة التي نحتاجها فتكون عميقة الأثر ليس مجرد معلومات مستقاة من الكتب هي خبرات أنضجتها السنون وثبتت صحتها بالتقادم.

أضفت المدينة دلالة خاصة على مجموع القيم التي أنتجها المثل الشعبي، فهناك قيم تعززت في فضاء المدينة، وأخرى بدأت تضمحل وتأفل لأنها عجزت عن التكيف مع مستجدات المدنية وضوضائها التي لا تسكن. والانسحاب الذي قد يمارس كبير السن قد يعيد تموقعه في المدينة من خلال إثبات ما جاء به المثل الشعبي وممارسته التي تتوغل في ذاكرة المدينة بفضائيها الزماني و المكاني.

والزمن في نهاية الأمر لا ينحصر مفهومه في معنى الساعة أو الدقيقة أو الشهر هو أعمق من ذلك بكثير.. ماذا نستفيد من ذلك الوقت الماضي فينا بساعاته وأيامه شهوره وما هو الأثر الذي يتركه؟، وكيف نستغله لنرسم خطوط التغيير داخل المدينة بمختلف الانجازات والإضافات على كل المستويات بداية من القاعدة القيمية وتشكل منظومة الضوابط انتهاء إلى تنمية المدينة اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا .

- الإحالات والمراجع :

يستخدم في الإحالات والمراجع خط من نوع Traditional Arabic، مقاس 10، البعد بين السطور1، مع إضافة فراغ قبل المرجع ؛ وتعتبر المصادر البيبليوغرافية للمادة العلمية المستدل بها في المقال هي فقط تلك المراجع والمصادر المقتبس منها فعلا وبدقة أي تحديد الصفحة/الصفحات المستدل بها، ويكون الإشارة للمرجع في المتن، وتدون جميعها حسب أسلوب جمعية علم النفس الأمريكية (APA) American Psychological Assocation على النحو التالي:

http://www.apastyle.org

الكتب: المؤلف أو المؤلفين. (السنة). **عنوان الكتاب بخط ثخين**. الطبعة. دار النشر. البلد. الصفحة

– فهمي، محمد سيد (2014). الخدمة الاجتماعية بين الطرق التقليدية والممارسة العامة، الطبعة الأولى. الاسكندرية : مكتبة الوفاء القانونية. ص.290.

مقالات: المؤلف أو المؤلفين، (السنة)، المجلة، المجلد والعدد، المكان، الصفحة. الرابط على الخط وتاريخ الاطلاع

– بوقروز، أمينة وهويدي، عبد الباسط (2017). الأداء الوظيفي للمؤسسة البرلمانية الجزائرية في ظل التحولات السياسية، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، 5(4)، 309-326

1-الكتب:

- ابراهيم أحمد شعلان. (ب ت). ***الشعب المصري في أمثاله العامة***. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. ص 49.
- ايرك فروم. (ب ت). ***المجتمع السليم***. المكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة.ص 151.
- خلف الله بوجمعة. (2005). ***العمران والمدينة***. دار الهدى للطباعة. الجزائر. ص 101.
- دينكن ميتشل. (ب ت). ***معجم علم الاجتماع***. دار الطليعة. بيروت. ص 15.
- عبد الحميد بورايو. (2006). ***الأدب الشعبي الجزائري***. دار القصبة . الجزائر. ص62.
- علي جاسم كعلة الزبيدي. (2009). ***سيكلوجيا الكبر والشيخوخة مراحل ما بعد النمو للانسان***. عمان. ص 23.
- فوزية ذياب. (1998). ***القيم والعادات الاجتماعية***. دار النهضة العربية. بيروت. ص 117.
- محمد الصالح بن علي. (2012). ***الموسوعة السوفيه للأمثال والحكم الشعبية***. الجزائر. ص ص 27..118.
- محمد عزام. (2003). ***تحليل الخطاب الأدبي في ضوء المناهج النقدية الحديثة***. منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق. ص 50.
- مختار عمر أحمد. (1998). ***علم الدلالة***. عالم الكتب. القاهرة. ص 11.
- نور الهدى لوشن. (ب ت). ***مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي***. المكتب الجامعي الحديث. الاسكندرية.ص 73.

2-المجلات:

- راشد علي حاتم. (30 جوان، 2013). **التحضر والتحديث في المدينة العراقية**. *مجلة القادسية للعلوم الانسانية* . العراق. ص 452.

- فضيل دليو. (02 06، 2019). **منهج تحليل الخطاب تعدد مفهومي واجرائي**. *المجلة الجزائرية للعلوم الاجتماعية والانسانية* . الجزائر.ص 33.

3-المواقع الالكترونية:

- أحمد مكي. (15 أوت، 2020). **التربية الشعبية في اليمن دراسة للمثل الشعبي في محافظة إب**. اليمن، (https://yemen-nic.info/files/cultr/studies/1.pdf)